الباب الثالث

السلوك السوي والسلوك الشاذ أو المنحرف

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السابع

التكيف

نناقش فى هذا الفصـــل وفى ضوء الأسس البيولوجية النفسيه والاجتماعية النفسية التى سقناها فى الفصلين السابقين التكيف السليم للفرد وما يؤدى الى اختلال تكيفه وبالتالى اضطرابه وانحرافه أو شذوذه نتيجة لهذا الاختلال .

فالكائن الحى يساعده تكوينه البيولوجى على الاستجابة للمؤثرات التى تقع عليه من داخل جسمه وخارجه ولديه الاستعداد لأن يحتفظ بحالة عضوية ثابتة متوازنة ، فاذا تغير هذا الاتزان حاول الجسم استعادته . فحرارة الانسان العادية ثابتة فى الجسم السليم عند درجة ٣٧م ، ويحتفظ الجسم بدرجة حرارته حول هذا المعدل مهما اختلفت حرارة الجو من أعلا درجات الحرارة إلى أدنى درجات البرودة . وعملية حفظ التوازن هذه تتم آليا وينظمها الجسم بنفسه . إلا أن الانسان كثيراً ما يساعد على حفظ هـــذا التوازن واعادته إذا اختل ، فلكى يحتفظ بدرجة حرارته عند ٣٧م يشرب المرطبات فى الحر ليساعد عملية افراز العرق ، ويلبس الملابس الخفيفة ، وفى البرد يلبس الملابس الثقيلة ويجلس بجوار المدفأة . والانسان فى تفاعله مع بيئته المادية والاجتماعية لا بد أن يكون فى حالة توازن ، إلا أن هناك عوامل تحول دون احتفاظه بهذا التوازن مما يؤدى به الى عدم التكيف فما هى هذه العقبات .

العوامل التى أدى الى عدم تكيف الفرد :

١ ـ النقص الجسمانى :

عرفنا فى مناقشتنا لأثر الوراثة والبيئة ، بأن الصفات الوراثية التى تنقل إلى الفرد لا تتم إلا عن طريق الجينات والكروموزومات ، وأن الصفات الوراثية مؤكدة فى التكوينات الجسمانية مع ضرورة توفر الظروف البيئية الملائمة ، وفيما عدا ذلك فعوامل الوراثة وعوامل البيئة تعمل سويا منذ اللحظة الأولى للحمل ، وأن عوامل الوراثة والبيئة تتفاعل تفاعلا يصعب معه بيان كمية أثر كل منها ، وأن البيئة لا يظهر أثرها إلا إذا كانت ظروفها قاسية ومعطلة ، فاذا ما ولد الكائن البشرى ولديه الاستعداد للاستجابة للمؤثرات الخارجية والمؤثرات الداخلية من جسمه دون أن يعطل من هذا الاستعداد عوامل وراثية أو عوامل أخرى أثرت عليه فى فترة الحمل أثناء الولادة ، وتوفرت البيئة المناسبة لرعايته تتوقع له أن يحتفظ بحالة توازنه مع بيئته دون أن يحد من تفاعله عاهة جسمانية . إذ يتوقف نجاح تفاعل الفرد مع بيئته على قدرته على تمييز الطرق والأهداف الناجحة فى مجال حياته وإدراك أحكام الناس على ذاته وقدرته ، وعلى مقارنة هذه الأحكام بما يعرفه عن ذاته وعن نفسه . فالأعمى ، والأصم ، والأبكم ، والكسيح ، ومقطوع اليدين تحول عاهاتهم بينهم وبين التكيف السليم ، مادامت تحد هذه العاهات من إدراكهم لمجال حياتهم إدراكا يساعد على تمييز ما يجب عمله وما لا يجب ، فضلا عن أن العاهة قد تكون حائلا دون تحقيق أهداف كثيرة . فالأعمى مثلا لا يدرك الانفعالات المختلفة للناس من ملامحهم ، فيعجز عن أن يكيف سلوكه تبعاً لهذه الانفعالات .

وتتفاوت العاهات فى درجة تأثيرها فى حياة الفرد تبعاً لجسامة العاهة نفسها ، ونظرة المجتمع اليها ، ومدى تقبل صاحب العاهة لها . فمن الثابت لدينا أن مشاكل

الأعمى النفسية قد تكون أقل بكثير من مشاكل الأصم ، لأن ثقافتنا تشجع على العطف على الأعمى ومساعدته فى الوقت الذى لا تحتمل فيه كثيراً من سلوك الأصم فقد يعتريك الملل والضيق إذا وجهت سؤالا إلى طفل أصم عدة مرات ولم يسمعك، بينما تهب لمساعدة الضرير فى عرض الطريق إذا اعترضت سبيله عربة قد تقضى عليه .

وتؤثر الحالة الجسمانية العامة للفرد كذلك على مدى تكيفه ، فالشخص العليل الذى تنتابه الأمراض التى تقلل من كفايته عرضة لمجابهة مشاكل لا يجابهها عادة الشخص السليم .

٢ ـ عدم اشباع الحاجات بالطرق التى تقررها الثقافة :

لدى الفرد حاجاته الجسمانية وحاجاته الاجتماعية المكتسبة ، وإذا ما استثيرت الحاجة أصبح الانسان فى حالة توتر واختل توازنه ، ولابد للحاجة من مشبع لإزالة التوتر واعادة التوازن ، وتحدد الثقافة للفرد الطرق التى يتم بها اشباع هذه الحاجات سواء الأولية منها أو المكتسبة . فالطريقة المحددة لاشباع الحاجة الجنسية التى تعترف بها الثقافة هى عن طريق الزواج ولا تسمح فى العادة بغير ذلك كطريق للاشباع ، قس على ذلك الحصول على المأكل والملبس والمأوى وبلوغ المكانة أو المركز أو الانتماء أو القوة أو السيادة . حقا ليس هناك من سبيل واحد لاشباع الحاجة ، إذ تتنوع السبل فى الثقافة وتتنوع الأهداف غير أن هذا التنوع محدود بالاطار الثقافى ، كما أن هناك تدرج فيها يقترب بعضها عما هو متعارف عليه ويبتعد البعض الآخر عنه .

غير أن البيئة كثيراً ما تحول بين الفرد واشباع حاجاته ، إذ يستلزم إشباع الحاجات وجود الامكانيات التى يستطيع الفرد أن يميزها فى بيئته . وعودة الى الوراء قليلا الى أيام ما قبل الثورة لما تحالفت قوى الاقطاع والرأسمالية المستغلة

والاستعمار على استنزاف ثروة هذا البلد فامتلكت ثروة البلاد نسبه ½٪ من الناس بينما البقيه الباقيه لم يكن لها الخيار سوى خدمة هذه النسبة أحسن مثل حل ذلك .

والبيئه الاجتماعيه بنواحى النقص فيها قد تؤدى فى كثير من الاحيان الى ما يسميه علماء النفس الاجتماعى « الشعور بالتعطل الوظيفى » ويقصد به حرمان الذات من عمل كانت تقوم به ، وكان يشعرها بالقوة والقدرة على الانتاج. فالفرد عامه ينخرط فى كثير من أوجه النشاط التى تضفى عليه الشعور بالقوة على العمل . وقد رأينا أن العاهات الجسمانيه تؤدى فى كثير من الاحيان الى فقد هذا الشعور، فقد يتمكن الاب الذى يعول أسرة ثم يقعده المرض عن كسب الرزق لأسرته من الحصول على اعانة كافيه من احدى الجمعيات تكفى لسد حاجات الأسرة ، الا أنه يظل تعيسا بالرغم من ذلك لشعوره بالتعطل الوظيفى ، ويقع اللوم على البيئه الاجتماعيه فى أنها تؤدى بالفرد الى الشعور بذلك التعطل فى كثير من الاحيان ، فكثير من أعضاء البعثات الذين مرنوا تمرينا عاليا فى ميادين تخصصهم ، يعودون الى مصر فلا يجدون مجالا لاظهار قدراتهم فى هذه الميادين ، اذ يعهد اليهم بأعمال بعيدة عن ميادين تخصصهم ، فيضجون ويتزمرون ويحسون التعاسه لتعطلهم الوظيفى وعدم قدرتهم على اشباع حاجاتهم بالسبل المشبعه لهذه الحاجات . ومن الطرق التى تعمد اليها بعض الشركات والمصالح الحكوميه لكى تتخلص من موظف غير مرغوب فيه ألا تعهد اليه بأى عمل ، وتواظب على أن تعطيه مرتبه ، فينتابه القلق والاضطراب لمجرد شعوره بالتعطل الوظيفى فيضطر الى طلب النقل أو الاستقالة.

٣ ـ عدم تناسب الانفعالات والمواقف :

فى دراستنا للانفعالات رأينا أن الانفعالات حالات توتر يصحبها تغيرات

فسيولوجية وتغيرات جسمانية ، وعرفنا أن الثقافة تؤثر فى الانفعالات بتحديد المواقف التى تستثير الانفعال والطرق التى يتم بها التعبير عن هذه الانفعالات . وقد ذكرنا أن التغيرات المصاحبة الانفعالات تهيء الفرد لمجابهة الموقف الجديد أى أنها تغيرات تناسب الموقف الجديد . غير أن الانفعالات الحادة المستمرة تخل من توازن الفرد ولها أثرها الضار جسمانيا واجتماعيا . فقد يؤدى الخوف الشديد فى بعض المواقف بالاضافة الى خفقان القلب وسرعة النبض والشعور بالهبوط وتصبب العرق إلى التبول اللاارادى والتبرز بل والقيء والاغماء وعجز الفرد عن التصرف ، كما قد يؤدى الغضب الحاد إلى فقدان الفرد لسيطرته على الطريقة التى يتم بها التعبير عن هذا الغضب . وإذا كانت الثقافة تحدد المواقف التى ينفعل فيها الفرد فهى تحدد أيضا طريقة التعبير، فان جاز لغير المتعلم أن يعبر عن غضبه جسمانيا بالضرب أو لفظيا بالسب فهى لاتسمح للمتعلم بذلك . ومن هنا كان من مبادىء الاتزان الانفعالى الانفعال المناسب فى الموقف المناسب ، والتعبير عن الانفعال بالطريقة المناسبة التى يتقبلها المجتمع. غير أن هناك من الأفراد من تتكاثر عليهم المواقف الانفعالية التى تؤدى الى استمرار التوتر . وهناك بالتالى من لاتستثيرفيهم المواقف التى تستلزم الانفعال أى شيء فيوصفون بالبلادة العاطفية، وهناك المتقلبون انفعاليا الذين يفتقرون إلى الثبات الانفعالى فقد يستثيرهم موقف ما فى ظرف من الظروف مرة ولايستثيرهم نفس الموقف مرة أخرى ، وهؤلاء يصعب التنبؤ بهم ، إذ يتطلب التكيف الثبات الانفعالى للفرد فى حدود معينة . والخلاصة يمكننا الحكم على مناسبة الانفعال من عدمه بالمعايير الآتية :

١ ـ امكانية التنبؤ بالانفعال : اذا كان الانفعال عاديا ويتفق والموقف ومع ما هو معروف عن الفرد فانه يمكن التنبؤ به ويعتبر سويا .

٢ ـ مناسبة الانفعال : إذا كان مناسبا للموقف ويتفق مع تعبيرات الآخرين

من نفس الثقافة والجماعة يعتبر مناسبا وسويا .

٣ ـ المرجع الفردى : إذا كان الانفعال فى نظر الفرد أو من يقوم بملاحظته يتفق والعلاقة بين المنفعل والفرد الموجه اليه الانفعال فهو مناسب أيضا .

٤ ـ الاستمرار : يجب أن يتفق طـــول مدة الانفعال مع الأسباب المؤدية اليه .

٥ ـ أن لا يؤدى الانفعال إلى الضرر بالفرد أو بالآخرين .

٤ ـ تعلم سلوك مغاير لمعايير الجماعة :

بينا فى نقاشنا للتعلم* أنواع مايتعلمه الفرد من مهارات وعادات، ومعلومات ومعان ، وسلوك اجتماعى ، ومميزات خاصة . وبصرف النظر عن الطريقة التى يتم بها التعلم سواء بالمحاولة والخطأ ، أو بالتعلم الشرطى ، أو بالبصيرة ، أو بالعلامات تهدف التنشئة الاجتماعية إلى أن يتعلم الفرد معايير السلوك فى جماعته . إذ وجد علماء النفس الاجتماعى بدراستهم لأفراد الجماعات فى مواقف مختلفة ولفترة من الزمن أن هناك مايشير إلى أن نوعا من السلوك يعتبر نمطا سائدا يميز أفراد هذه الجماعة تتميز به ويشترك فيه معظم أفرادها. هذا النمط أو النموذج يمثل نجاح عملية التنشئة فى الجماعة ، ويتخذ أساسا لتمييز السلوك السوى من السلوك المنحرف فى هذه الجماعة، ولا يوجد شخصية يتفق سلوكها تماما مع هذه المعايير ، إذ أن الأفراد ينحرفون بدرجات متفاوتة عن السلوك النمطى أو النموذجى للجماعة . إذ لابد من وجود الفروق الفردية بين الأفراد فى السلوك وطرق التفكير وتمثيل القيم والتعبير عن الانفعالات والدوافع وما إلى ذلك ، لأن عملية التنشئة يقوم بها أفراد ويختلف

---

* انظر الجزء الخاص بالتعلم .

هؤلاء الأفراد فيما يبدو فى تطبيق النظم الأولية فى عملية التنشئة الاجتماعية .

إذ قد تؤدى خبرات الأفراد الخاصة إلى سبل من التكيف تنحرف بهم عن النمط أو النموذج فى الثقافة ويصبح الفرد شاذاً فى مجتمعه ، مثل ذلك أولئك الذين يعجزون عن إقامة علاقة جنسية ناجحة مع أفراد الجنس الآخر بالزواج ، وأولئك الذين يضطرون إلى كسب عيشهم بطرق غير مشروعة ، وأولئك الذين يعجزون عن الحصول على عمل شريف فأصبحوا من المجرمين ، إذ يدخل هؤلاء جميعا فى نطاق المنحرفين عن معايير الجماعة .

ويعرف سيلين Sellin معيار السلوك بأنه «قاعدة تمنع فردا معينا يتحدد مركزه فى الجماعة من القيام بسلوك معين بشكل معين فى ظروف معينة . إنه قاعدة تتحكم فى موقف معين من مواقف الحياة ويصل تحكمها إلى حد مقاومة الجماعة لمن يخرقها » . ويسمى سيلين مقاومة الجماعة لمن يخرقها « بطاقة المقاومة » وهى تختلف طبعا طبقا لمدى خطورة الانحراف عنها . وعلى ذلك يتدرج الانحراف عن معايير الجماعة ويختلف كما ونوعا . ويمكننا أن نقسم المنحرفين إلى فئتين أولئك الذين دربوا اجتماعيا عن طريق التنشئة الاجتماعية للسلوك المنحرف ، وأولئك الذين دربوا لتوافق سوى غير أنهم انحرفوا للظروف التى ألمت بهم . ولما كان كل فعل يقوم به الفرد يتوقف على الفرد والموقف الذى يسلك فيه تنشأ لدينا مشكلة ما إذا كان الفرد أو الموقف هو المسئول عن فعل ما . لذلك يجب علينا أن نتذكر دائما الفرق بين الفعل المنحرف الذى يكون نتيجة مباشرة لتكوين الشخصية باستمرار ، وذلك الفعل الذى تؤدى اليه ظروف خارجة ، وأحسن مثل على ذلك الرجل الذى يسرق باستمرار حتى أصبحت السرقة مهنته المشروعة من وجهة نظره ، والرجل الذى يضطر للسرقة مكرها ليطعم أولاده . فالأول محترف ويدخل

الانحراف فى تكوين شخصيته نتيجة لتدريبه . أما الثانى فلم يعد فى تكوينه ليكون لصا . ولما كان التوافق للمعايير الاجتماعية يتوقف على التفسير الذى يعطيه الفرد لسلوكه والمعانى التى يعلقها به ، وتفسير الآخرين ، لذلك كان السلوك السوى حصيلة تقبل الفرد وامتصاصه ، وتعريف الآخرين للموقف . فالشخص الأول المعتاد للجريمة يكون فى العادة لديه تعريف للموقف يختلف عن تعريف المحيطين به لنفس الموقف . أما الثانى فقد امتص معايير الجماعة وهو يعرف أنه قد خالفها من وجهة نظره نحو نفسه ، لذلك يعتبر الأول منحرفا ويعتبر الثانى غير متكيف لأنه لا يرضى عن نفسه فى سلوكه وقد عارض تدريبه السابق . أما سلوك الأول فيعتبر فيه متكيفا مع نفسه لتجانس خبراته ورضائه عن نفسه رغم انحرافه عن معايير الجماعة .

٥ ـ الصراع بين أدوار الذات :

رأينا أن الذات تلعب أدوارها تبعا لما يتوقعه المجتمع من الفرد . ومما يؤدى عادة إلى الصراع وعدم التكيف حاجة الفرد إلى أن يلعب دورين متعارضين فى وقت واحد ، فالفتاة المتعلمة التى تريد أن تبنى لنفسها مستقبلا مهنيا ناجحا وتريد الزواج تقع فى صراع بين دورها كفتاة ذات مهنة ، وبين دورها فى زواجها كزوجة وأم . إذ غالبا ما يتعارض الدوران . وكالأم العاشقة التى تقع فى صراع بين زوجها وعشيقها للتوفيق بين دورها كزوجة وأم ، ودورها كعشيقة .

وقد لا يحدث التكيف بين فردين لأن دور كل منهما بالنسبة لزميله لا يتفق مع دور الآخر . فالزوج الذى يعيش فى مجتمع يميز الرجل على المرأة يتوقع من زوجته الخضوع له . وقد يتعارض دوره هذا مع دور زوجة المتعلمة التى ترى المساواة بين الرجل والمرأة . فهو يتوقع منها دوراً معينا ، وتتوقع هى الأخرى

منه دوراً معينا ، ويفشل كل منهما فى السلوك تبعا لما يتوقعه الآخر وينتهى بهما الأمر إلى الانفصال .

وشعور الرجل بفشله فى لعب دوره كرجل ، والمرأة فى لعب دورها كأنثى من أهم العوامل التى تؤدى إلى عدم التكيف . ومن الأمثلة على ذلك الحالات التى عرضت على الإخصائيين النفسيين فى الحـــرب إذ أصيب بعض الرجال برصاصات فى أعضائهم التناسلية . وكانت إصابتهم بسيطة ، إلا أنها كانت تستدعى استخراج بقايا الرصاصات تحت تأثير المخدر . فعنـد إفاقتهم ورؤيتهم للضمادات وهى تغطى أعضاءهم التناسلية ، أصيبوا بالهلع والحزن لخوفهم من فقـدان العضو الذى يرمز إلى رجولتهم ، وكانوا يظلون على هـــذه الحالة حتى يرفع الأطباء الضمادات ليطمئنوا إلى بساطة إصابتهم .

وكما تؤدى التنشئة الاجتماعية إلى تشـرب معـايير السلوك السائدة فى المجتمع لابد أن تؤدى التنشئة أيضا إلى تعلم الفرد لدوره المناسب سواء العام أو الأدوار الخاصة التى تدور حوله . غير أن التنشئة والتدريب قد لا يؤديان إلى ذلك . إذ قد يؤديان إلى تعلم دور لا يقره المجتمع . ومن أحسن الأمثلة الخطأ الذى يقـع فيه الآباء ممن لا يرغبون فى انجاب البنين أو خشية الحسد على ولد بعد موت كثير من الأولاد معاملة الولد كبنت وترك شعره كالبنات والباسه ملابس البنات ومعاملته كبنت ، بهذا تدرب الأسرة طفلها على غير الدور المعد له . ويحدث هذا أحيـانا مع البنات إذا ما عز على الأسرة إنجاب البنين ، وتعـامل البنت كولد وتهيأ بذلك لدور غير دورها الأساسى فى الثقافة . ونعود ونكرر هنا أن التكيف لا يتوقف على مجرد حكم الآخرين على الدور الذى يقوم به الفرد ولكن أيضا عـلى نظرة الشخص الفردية لهذا الدور ومدى رضاه عنه .

٦ ـ عدم اشباع الحاجة الى المركز :

ذكرنا أن المركز يعرف بأنه المكانة التى يمثلها أى فرد فى أى نظام اجتماعى فى أى وقت من الأوقات . فللطفل مكانة ومركز معين فى أسرته ، وله مكانته ومركزه فى جماعة أصدقائه وفى مهنته ، وفى كل جماعة يتفاعل معها ، وفى مجتمعه كله . ويهم الفرد أن يحدد مركزه بالنسبة للأفراد الذين يتعامل معهم . وليس من الضرورى أن يسعى إلى مركز الزعامة أو يكون مرتفع الشأن حتى يشعر بالطمأنينة ، فالخادم ومكانته لا تتعدى كونه خادما من وجهة نظر المجتمع غير أنه قد يكون أسعد حالا من سيده الوزير أو وكيل الوزارة الذى لا يشعر بالطمأنينة من ناحية مركزه . فعملية التفاعل الاجتماعى تتطلب من الفرد أن يعرف ما يجلب عليه أن يفعله وما يجب ألا يفعله ، وما يكسبه رضا الجماعة وما يجب عليه سخطها حتى يتمكن من الاحتفاظ بمركزه فيها . ولم يكن هذا الأمر عسيراً فى مجتمع طبقى إقطاعى كمجتمعنا المصرى قبل الثورة ، فقد رضيت الغالبية بما قسم لها . وكثيرا ما كنا نسمع من الأمثلة العامية ما يقصد به تثبيت كل فى مركزه مثل « اللى يبص لفوق يتعب » « ومن رضى بقليله عاش » « وانت حتروح فين ياصعلوك بين الملوك » إلى غير ذلك . فالطموح كان خطيئة ومحاولة تغيير الوضع الراهن كان جرما .

وليس معنى هذا أن الناس كانوا سعداء راضين بذلك لأن رضاهم لم يكن إلا لأنهم مغلوبون على أمرهم . أما المجتمع الديمقراطى فيفتح المجال أمام الجميع للارتقاء وبذلك تتغير المراكز فيه سريعا نسبيا إما إلى أعلى أو إلى أسفل ، وتتصل بهذه الحاجة الحاجات الأخرى كالسيطرة والقوة والمكانة والأمن وما اليها . لهذا كانت هذه الحاجة من الحاجات الهامة التى تستكشف مظاهرها فى سلوك الناس

ومحاولتهم لتحسين مراكزهم وتقويتها .

والطفل فى المدرسة إذا فشل فى تحديد مركزه فيها وتحقيق مكانته سعى إلى جماعات الأصدقاء الخارجية التى تحقق له الانتماء اليها ، ولعل مهارته المنحرفة تحقق له المركز بين أفرادها . والمجتمع الأكبر بالتالى إذا لم يفتح الفرصة لكثير من الأفراد لتحقيق المكانة التى يرضى عنها الفرد سعى إلى الجماعات الصغرى التى قد تحقق له ذلك وينحرف سلوكه .

٧ ـ عدم فهم المرء لذاته :

يكون الفرد فكرته عن نفسه ، وينزع إلى تأكيد ذاته طبقا لفكرته عن نفسه بتمييز الأهداف التى تتفق وهذه الفكرة . وينزع الأفراد إلى أن يحددوا لأنفسهم أهدافا مؤقتة يكون فيها إشباع لتأكيد ذواتهم ويطلق علماء النفس على هذا الهدف المؤقت مستوى الطموح . ويحدده الفرد تبعا لتقييمه لقدرته على التحصيل . ويختلف الأفراد فيما بينهم فى مستوى طموحهم . فالواقعى منهم يضع لنفسه مستويات قريبة من مستوى قدراته على التحصيل ، على حين نرى بعض الذين لا يقدرون أنفسهم التقدير الصحيح وقد وضعوا لأنفسهم أهدافا تفوق مستوى تحصيلهم أو تقصر عنه . ففاقد الثقة فى نفسه يحاول أن يحمى نفسه من مغبة الفشل فيحدد لنفسه مستوى متواضع من الطموح ، بينما يحدد المغرور هذا المستوى بما لا تقدر ذاته على بلوغه . وهؤلاء اذا ما أصيبوا بالفشل شعروا بالمرارة والتعاسة .

فمن الطلبه من يضع لنفسه مستوى عاليا فى التقدير الذى يهدف الى الحصول عليه فى امتحان آخر العام كامتياز أو جيد جداً وهو ليس من الذكاء أو القدرة

العليه بالقدر الذى يؤهله لبلوغ هذا المستوى ، فاذا أحبطت محاولته شعر بالتعاسة والقى اللوم على الاستاذ أو الظروف أو ماشابه ذلك .

٨ ـ عدم القدرة على الادراك والتمييز لبعض العوامل النفسية :

ومما يعوق قدرة الفرد على تمييز الأهداف والوسائل المناسبه فى مجال حياته التى تؤدى الى تكيفه السليم عدم وضوح بعض العناصر فى هذا المجال وضوحا يؤدى الى تمييزها وادراكها بما يهيىء انتهاج السبيل القويم ، فكثيراً ما نحب شخصا أو نكرهه بمجرد مقابلتنا له لأول مرة ، ونحدد سلوكنا نحوه تبعا لهـــذا الشعور دون أن نعرف السبب الحقيق الذى يدفعنا الى ذلك ، وسنتناول ذلك بتفصيل أوسع فى مناقشتنا فيما بعد للعوامل والعمليات اللاشعوريه .

ومن العوامل النفسيه التى تؤدى الى عدم القدرة على التميز والوضوح ضيق مجال حياة الفرد ضيقا يتعسر معه تمييز عناصر مختلفه يبعدها عن دائرة التمييز ضيق المجال هذا . كالشخص الذى يسيطر عليه حبه فلا يرى الا الجمال والخلق الكريم فى محبوبته ، ويمنعه هذا من رؤيه مساوئها أو رؤيه محاسن غيرها . وقد ينسى فى سبيل هذا الحب نفسه وواجباته نحوها ونحو غيرها .

ويضيق مجال الحياة ويتحدد الادراك فيه عادة اذا كان هناك خطر يهدد الفرد . ويعقد هذا من الموقف . اذ يتعسر على الفرد التحلل من المشكلة حتى يجد فى مجال حياته ما يساعده على حلها .

الصراع والاحباط

تؤدى هذه العقبات سواء منها الموجود فى الفرد نفسه أو فى بيئته ، وعجزه عن التميز والادراك ، إلى فشله فى اشباع حاجته الى اثبات الذات ، وبذلك يتزعزع كيانه ، ويتعرض الفرد للاحباط Frustration والصراع Conflict. والعائق الذى يؤدى إلى الاحباط يكتسب هذه الصفة لأنه اعترض سبيل تحقيق الهدف الذى تسعى اليه الذات . ويؤدى ذلك إلى الغيظ ، والنرفزة ، فالطالب الذى عليه أن يكون فى لجنة الامتحان فى الساعة التاسعة تماما ويخرج من بيته مبكراً فى الساعة الثامنة مقدراً أن ساعة واحدة كافية لقطع الطريق ، فينتظر الترام ويمر الوقت ولا يأتى الترام ، فيحاول البحث عن سيارة فلا يجدها ، يتملكه الغيظ . فظروف المواصلات هنا محبطة له Frustrating فى تحقيق هدفه ، وغيظه أو احباطه هو الحالة الناتجة عن ذلك .

وقد يحدث الصراع نتيجة لمحاولة الذات تحقيق أكثر من هدف واحد فى وقت واحد ، أو لوجود أكثر من سبيل واحد لتحقيق نفس الهدف .

والاتجاه الحديث فى دراسة أنواع الصراع هو تقسيمها حسب رأى « ليفين » Lewin تبعا لجاذبية الهدف الايجابية والسلبية ، وعلى هذا يكون لدينا ثلاثة أنواع من الصراع .

صراع الاقبال Conflicting Approach

ويقصد به الصراع الناتج عن محاولة الاختيار بين هدفين كلاهما له جاذبية ايجابية . والصراع فى هذه الحالة لا يستمر مدة طويلة بل ينتهى بأن يقرر الفرد اختيار أحدهما وهو يختار عادة الهدف الأقرب منالا . وإذا طال الصراع فان هذا يعنى وجود خبرة سابقة ذات آثار سلبية تدعو إلى التردد . ومن التجارب

التى أجريت فى هذا المضمار تجربة قام بها كلبانوف Klebanoff. إذ درب فيرانا جائعة على أن تحصل على طعامها بالتوجه إلى أحد طرفى ممر إذا ما ظهر عنده نور تصحبه دقات جرس . ولكى يبين سلوك الفيران فى موقف فى صراع الاقبال أضاء النور ودق جرسا عند الطرفين فى وقت واحد . فوجد أنه إذا كانت الفيران قد تقدمت فى أحد الاتجاهين بعيدا عن الوسط فانها تواصل اتجاهها دائما نحو الهدف الذى أصبحت قريبة منه . أما إذا كانت الفيران فى الوسط فانها تتجه إلى أحد الهدفين بقليل من التردد .

ومن التجارب التى قام بها باركر Barker أن طلب من مجموعة من الأولاد فى سن العاشرة اختيار أحد مشروبين ، وكان على الأولاد فى بعض الحالات أن يختاروا بين مشروبين محببين لها مثل عصير البرتقال وعصير الأناناس، وفى حالات أخرى الاختيار بين مشروبين كريهين مثل الخل ومحلول الطعام ، وفى حالات ثالثة الاختيار بين مشروبين لا طعم لها . وكان كل ولد يدلل على النوع الذى يختاره من المشروبين بتحريك مؤشر نحو الكوب الذى يريد شربه . وكان الوقت الذى يستغرقه الولد حتى يستقر رأيه ويعطى اشارته إلى الكوب يحسب بواسطة جهاز معلق فى المؤشر ولا يراه الطفل . فتبين أن الصراع فى الاختيار بين مشروبين محبوبين أو مشروبين لاطعم لهما يستغرق مدة قصيرة ، والصراع فى حالة الاختيار بين مشروبين مكروهين يستغرق مدة أطول .

ومن مواقف الصراع المألوفة لدينا من هذا النوع ، الصراع الذى يشعر به الفرد فى حالة الاختيار بين وظيفتين أو بين قطعتين من القماش أو فتاتين للزواج. والصراع فى هذه الحالة ناجم عن أن الهدفين فيها إغراء ، ويكفى امتياز أحدهما عن الآخر امتيازا طفيفاً حتى يقرر الفرد اختياره ويزول الصراع .

صراع الاحجام Conflicting Avoidance :

ويقصد به الصراع الناتج عن محاولة الاختيار بين هدفين كلاهما له جاذبية سلبية . وتجربة باركر السابقة من التجارب التى تدل على صراع من هذا النوع حين حاول الأولاد اختيـار احد مشروبين كلاهما مكروه كالخل ومحلول ملح الطعام .

ومن تجارب كليبانوف أنه درب بعض الفيران على أن تتفادى هزة كهربية بأن تجرى بعيدا عن طرف الممر الذى يظهر عنده الضوء مع رنين الجرس . ثم أوقفت الفيران موقف صراع الاحجام باضاءة طرفى الممر فى وقت واحد مع دق الأجراس فكانت النتيجة أنه بعد أن ابتعدت الفيران عن وسط الممر ، حيث أطلقت ، حاولت جميعها الابتعاد عن أقرب ضوء لها . وبعد أن جرت كلها فى اتجاه واحد ، وقفت فجأة ثم استدارت نحو الضوء الأول . وظلت كذلك مدة فى الصراع بين الضوءين .

وفى مثل هذه المواقف يحاول الفرد ايجاد حل آخر لموقفه والهرب من موقف الاختيار بين أمرين أحلاهما مر ، اللهم إلا إذا كان هناك من العوائق ما يحول بينه وبين الهـرب من الموقف ، فيظل الفرد معلقاً فى موقفه يقاسى من صراعه . ومن خبرات الحياة ، نضرب المثل بالجندى فى ميدان القتال الذى يعانى من الصراع بين رغبته فى الهرب ورغبته فى عدم التقدم ، فاذا تقدم هلك ، وإذا هرب هلك أيضاً وبالزوجة التى تريد الخلاص من زوجها الذى يذيقها الأمرين ، ولكنهـا فى حيرة من أمرها أين تذهب بأولادها ، ومن الذى يعولها ويعولهم ، إلى جانب خشيتها من انتقاد المجتمع لها

صراع الاقبال والاحجام Approach Avoidance :

ويقصد به الصراع الناتج عن الإحتيار بين هدفين أحدهما له جاذبية إيجابية

والثانى له جاذبية سلبية ، أو قد يكون للهدف الواحد الخاصيتان السلبية والايجابية معا . فالفتاة قد تحب الحلوى وتريدها ولكن الحلوى تؤدى إلى زيادة الوزن ، وهى لاتريد السمنة ، وقد تكون الفتاة جميلة وجمالها يؤهلها للزواج ولكنها فقيرة وهذا الفقر يدعو الى التردد ، والطفل قد يحب والديه لكنهما يؤذيانه ويتحكمان فيه ، فهو يكرههما أيضا .

والشخص الذى يواجه هدفا له هاتان الخاصيتان يقف موقف التردد والصراع ، ويتقدم الفرد نحو الهدف تجذبه اليه ايجابيته ولا يكون أثر الجاذبية السلبية كبيراً طالما هو بعيد عن الهدف ، إلا أنه لايكاد يقترب من الهدف حتى يحس الجاذبية السلبية فيشعر بالنزعة الى تجنبه ، فيقف مترددا فى مكان قريب من الهدف يشعر فيه بالرغبة فى الابتعاد ، إلا أنه يشعر أيضا بأنه فى موقف آمن لاينتزعه الصراع منه .

وليس من الضرورى أن يكون فى الاختيار حركة تقدم أو تأخر مكانية ، فقد يكون التردد مصاحبا للتفكير فى المشكلة ، ويدور الاقبال والاحجام فى ذهن الفرد .

ومن التجارب على مثل هذا النوع من الصراع تجربة دربت فيها فئران جائعة على أن تجرى فى ممر حتى نقطة مضاءة تجد عندها الطعام ، ثم احداث صدمة كهربية للفيران أثناء تناولها الطعام . فجاذبية الطعام جاذبية ايجابية ، الا أن مصاحبة الطعام بالصدمة الكهربية أعطاه أيضا جاذبية سلبية . فلما وضعت الفيران فى الممر ثانية تقدمت نحو الطعام ، ولكنها توقفت فجأة قبل الوصول اليه مترددة دون اقبال أو احجام .

ولهذه التجربة عناصر أخرى تبين أنه من الممكن التحكم فى المكان الذى تقف

عنده الفيران من حيث بعده أو قربه من الهدف تبعاً لدرجة جوعها ، وتبعاً لقوة الصدمة التى تصيبها أثناء الاكل .

وقد أدت التجارب المختلفة التى أجريت على مواقف الصراع إلى استخلاص مبادىء هامة تتلخص فيما يأتى :

١ ـ تقوى النزعة إلى الاقتراب من هدف أو مكان له جاذبية ايجابية كلما اقترب الكائن الحى من الهدف ، وبالعكس تقوى النزعة إلى الهرب من هدف أو مكان له جاذبية سلبية كلما اقترب الكائن الحى منه . إذ أثبتت التجارب أن الفيران كانت تزداد سرعة فى اقبالها أو احجامها كلما اقتربت من الهدف تبعاً لجاذبيته .

٢ ـ عند اقتراب الكائن الحى من الهدف تكون النزعة إلى الهرب من الهدف ذى الجاذبية السلبية أقوى من النزعة إلى التقدم نحو الهدف ذى الجاذبية الايجابية .

٣ ـ تختلف قوة النزعة إلى التقدم أو النزعة إلى الهرب تبعا لقوة الدافع .

النتائج المباشرة للصراع والاحباط :

الحياة مليئة بالمواقف التى تؤدى بالانسان إلى الصراع . فالصراع إذن أمر حتمى لا مفر منه . وللصراع نتائجه التى قد تظهر مباشرة مثل الغضب والإعتداء وما إلى ذلك ، ومنها ما قد لا يظهر الا بعد فترة من الزمن .

واليك بعض نتائج الصراع والاحباط المباشرة :

١ ـ التوتر وعدم الاستقرار Restlessness

يؤدى الصراع الى ايجاد حالة من التوتر يصعب معها على الفرد أن يستقر على رأى أو أن يستقر فى مكان واحد ، فنجده متردداً متنقلا من مكان الى آخر وكأنه يدور حول نفسه . وقد يقوم بحركات عصبية تكشف عن مدى توتره وعدم

استقراره مثل إشعاله سيجارة ثم تركها ، واشعاله ثانية وثالثة دون ادراك لما يفعل ، وفركه ليديه ، وفرقعته لأصابعه وما إلى ذلك . والتجـــارب التى سبق ذكرها عن الفيران فى مواقف الصراع تبين أنها فى هذه المواقف كانت تجرى وتقفز وتتخبط تخبطا عشوائيا ، مما يدل على مدى التوتر وعدم الاستقرار اللذين كانت تعانى منها .

٢ ـ الاعتداء Aggression

يعتبر الاعتداء من النتائج المباشرة الهامة للاحباط . فالفرد فى سعيه لتحقيق هدف من أهدافه ينزع عادة الى الاعتداء إذا ما قام عائق فى سبيل تحقيقه لهذا الهدف ، ويختلف الأفراد فيما بينهم فى تفسير السبب فى إحباطهم . ويختلفون تبعا لذلك فى الاتجاه الذى تتجه اليه موجتهم الاعتدائية فقد يعزو الفرد إحباطه إلى فرد آخر أو شىء خارجى ، وحينئذ يتجه اعتداؤه نحو هذا الفرد أو هذا الشىء . وقد يلوم الفرد نفسه ويعزو الفشل اليها ويتجه بموجته الاعتدائية ضد نفسه . وقد لايعزو الفرد سبب الاحباط الى نفسه أو الى فرد آخر أو أى شىء آخر ، فيكبت موجته الاعتدائية .

وقد ذكرنا فيما سبق فى كلامنا عن الحاجة إلى القوة أن الاعتداء قد يكون بالطرق البدائية باستعمال القوة البدائية ، أو باتخاذ مظهر آخر فى شكل سب أو هجاء أو غيبة ونميمة أو ترويج الشائعات .

وقد يكون الاعتداء مباشراً على الفرد أو الشىء المسبب للاحباط ، فاذا عجز الفرد عن الاعتداء المباشر على المصدر الأصلى خوفا من العقاب تحول باعتدائه فأنزله بفرد أو شىء آخر بينه وبين المصدر الأصلى شبه .

فالتلميذ الذى يتعسف والده فى معاملته يود لو انتقم منـــه ، ولكن تحول التقاليد ويحول المجتمع بينه وبين ذلك ، فيذهب إلى المدرسة فيجد فيها المدرس

بديلا للأب فيوجه الاعتداء ضده . وتحول الإعتداء عن مصدر استثارته يخلق ظاهرة اجتماعية معروفة فى علم النفس الاجتماعى باسم « ظاهرة كبش الفداء Scapegoating . فالشعب الألمانى مثلا بعد هزيمته فى الحرب العظمى الأولى وعجزه عن الانتصار على أعدائه ، حول موجة سخطه ضد اليهود ولا سيم على الهزيمة وحاول الانتقام منهم مما خلق لنا مشكلتهم فى الشرق ؛ ولابد أن يكون بين « كبش الفـــداء » وبين المثير شبه ، إلا أنه يفترق عنه فى أن فيه ضعفا يغرى باستغلاله ويمكن المعتدى منه .

ومن التجارب المشهورة تجربة « ليبت Lippitt » وآخرين . إذ حاولوا بيان أثر الزيادة الديمقراطية والزيادة الديكتاتورية فى العلاقات الاجتماعية . فكونوا ثلاث مجموعات من التلاميذ تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والحادية عشرة سنة . ووضعوا على إحداها رائداً يسوسها بالطريقة الديمقراطية ، وعلى الثانية رائداً يتبع معها الطريقة الدكتاتورية ، وعلى مجموعة ثالثة رائداً سياسته لا تشبه هذه ولا تلك . إذ ترك الجماعة حرة تفعل ما تشاء ، فكان من أهم النتائج فى الجماعة التى يرودها رائد ديكتاتورى بروز ظاهرة « كبش الفداء » بشكل واضح فى محاولة اعتداء التلاميذ الكبار على من هم أصغر منهم متقمصين فيهم من رائدهم ؛

ومن التجارب على الفيران تجربة « ميلر » Miller التى درب فيها فأران من الفيران البيضاء على العراك فيما بينهما بوضعهما فى صندوق يمر تيار كهربى فى أرضه . ويوقف أثر التيار اذا ما ابتدءا فى العـــراك . ووضع معها بعد ذلك دمية فأر تتجاهلاها واستعدا للعراك ، فلما وضعت هذه الدمية مع كل واحد منها على حدة تشاجر معها كبديل للفأر الذى تعود الشجار معه .

٢ — عدم المبالاة Apathy

وتعمل عدم المبالاة فى طياتها البلادة العاطفية . ويرجع السبب فى ذلك الى

أن الأحباط المستمر ، والفشل المستمر فى توجيه الاعتداء ضد المصدر المسبب له يؤدى إلى فقدان الأمل ، وبالتالى إلى البلادة العاطفية . وليس معنى البلادة العاطفية أن الشعور بالاحباط والغيظ قد انعدم ، إذ يظل هذا الشعور موجوداً ولكنه مكبوت ، فيبدو الفرد وفى مظهره عدم المبالاة . وفى تجربة ليبت وآخرين فى أثر القيادات المختلفة ، كان هذا من ضمن الأعراض التى ظهرت فى الجماعة التى يرأسها الديكتاتور . فقد كان الأولاد يعملون فى الجماعة مستقلين وكأنهم آلات ، مع وجود شعور بالأحباط كامن لم يزل . إذ كان يظهر فى موجاتهم الاعتدائية ضد بعضهم بعضاً فى حالة غياب القائد ، وفى انتقادهم له فى غيبه .

٤ ـ احلام اليقظة والخيال Fantasy :

كثيراً ما نفشل فى تحقيق أهدافنا فى عالم الواقع . فنصاب بالاحباط والغيظ ونلجأ إلى عالم الخيال فنحقق فيه ما عز علينا تحقيقه فى الواقع . فالرئيس قد يحنى مرؤوسه ولا يتمكن المرؤوس من رد الاهانة . فيسرح المرؤوس فى عالم الخيال ، حيث يعتدى فيه على رئيسه ويرد له الصاع صاعين . أو قد يرى الرئيس فى هذا العالم معتذراً له أمام زملائه فى ذلة وخضوع . والمراهق الذى يعانى من الصراع بينه وبين سلطة المنزل والمجتمع ، تحقق له أحلام اليقظة نجاحه واستقلاله وامتلاك ما تشتهيه نفسه . ويلجأ الطفل الى عالم الخيال الذى يساعده على تفريغ كثير من انفعالاته وصراعاته النفسية ، ويجد لنفسه من الحلول ما يشعره بالقوة والسيطرة التى لا يتمتع بها فى معاملاته مع الكبار . وهكذا نجد أن أحلام اليقظة يتساوى فيها الكبار والصغار . وليس فيها من خطر الا اذا سيطرت على الفرد سيطرة تبعد به عن عالم الواقع . ومن اضرارها ، أن الفرد قد يحقق فيها ما يؤدى الى شعوره بالذنب الذى يؤدى به الى الشعور بالقلق وكراهية الذات كالطفل الذى

يقتل أباه فى أحلام يقظته ، والمراهق الذى يتخيل القيام فى هذه الأحلام بالعملية الجنسية مع واحدة من المحارم .

٦ ـ الجمود Stereotyping :

وجمود السلوك من النتائج التى قد يؤدى اليها الاحباط ومعناه النزعه إلى القيام بسلوك عدوانى جامد ، دون تغييره على الرغم من عدم تحقيقه للهدف .

ومن التجارب التى أجريت فى هذا الصدد أن فأراً جائعاً درب على أن يقفز نحو احدى فتحتين أمامـــه ، احداهما مغطاة ببطاقة بيضاء عليها دائرة سوداء ، والأخرى مغطاة ببطاقة سوداء عليها دائرة بيضاء ، اذا قفز الفأر تجاه الفتحة الأولى وقعت البطاقة ووجد أمامه الطعام كنوع من الثواب ، أما اذا اتجه نحو الثانية اصطدم بالبطاقة ووقع فى شبكة كعقاب له .

عقدت المشكلة بعد ذلك بالنسبة للفأر لإيجاد موقف يؤدى الى الاحباط . فالبطاقة التى تعود الفأر أن يجد خلفها الطعام أصبح يجد خلفها الآن اما طعاما واما أن يصطدم بها فيسقط فى الشبكة ، وكذلك الحال بالنسبة للبطاقة الثانية . وأرغم الفأر على القفز بعقابه بهزة كهربية فى المكان الذى يقف فيه . فكانت النتيجة أن عجز الفأر عن التمييز بين البطاقتين ، ولما كان مضطراً الى القفز ، أصبح يتجه نحو واحدة منها باستمرار ، بصرف النظر عن لونها ، وبصرف النظر عن النتيجة التى يؤدى اليها هذا الإتجاه ... وهكذا أطرد سلوكه الجامد على هذا النحو ، ولم يعد يبذل محاولة للتغيير من هذا السلوك .

هذه هى بعض النتائج المباشرة للإحباط والصراع ، وهى ليست مجرد دلالات على وجود الإحباط والصراع ، ولكنها محاولات للتغلب عليها ، وقد تحقق هذه النتائج ذلك ـ الا أن هذه المحاولات غالبا ما تنقصها المرونة والتفكير العملى .

فان تعذر عليه ذلك وفشلت محـــاولاته للتكيف للموقف وإزالة التوتر والصراع ، ظلت المشكلة معلقة ، وظل التوتر والصراع قائمين . فتطبع هذه سلوك الشخص بطابعها وتزمن معه . ومن الطرق الفردية التكيف لموقف من المواقف التي يعجز الفرد عن مجابهتها بحل عملي مايسمى بالعمليات العقلية اللاشعورية . وتسمى بالعمليات الدفاعية defence mechanisms لأنهـــا تحمى الذات من تعرضها للقلق وتحفظ عليها كيانها واتزانها وسنشرح بعضها فيما يلى :

ويجدر بنا قبل أن نعرض العمليات العقلية اللاشعورية أن نعرف بعض العناصر الأساسية لنظرية فرويد فى تكوين الشخصية وأهمها :

نظرية فرويد فى تكوين الشخصية

أهمية عناصر نظرية فرويد :

١ ـ الغرائز :

تلعب الغرائز دوراً أساسيا فى هـــذه النظرية وتتميز الغريزة عنده بأنها : ١ ـ مصدر للاستثارة فى داخل الجسم . ٢ ـ أن لها هدف وهو إزالة الاستثارة . ٣ ـ أن لها موضوع يتم عن طريقه إشباع الهدف . وقد يتم الاشباع داخل جسم الفرد ببعض التعديلات الجسمانية لكن فى العادة يكون هنـاك موضوع خارجى تحقق به الغريزة هدفها. على أن يكون الموضوع مناسبا . وتعلق الغريزة بموضوعها تعلقا زائدا يسمى بالتثبيت . فالطفل الذى يتعلق بأمه تعلقا زائدا يقال أن عنده تثبيت على الأم . غير أن الموضوع قد يتغير عدداً من المرات فاذا حدث هذا يقال إن إبدالا قد حدث .

والهدف قد يكون نشطا أو سلبيا فيقال مثلا أن بعض الناس يشتقون لذة جنسية من التطلع إلى أجسام الآخرين خاصة الأعضاء التناسلية، بينما يرى غيرهم هذه اللذة من

جذب انتباه الآخرين للتطلع اليهم . فاذا ما حاول الشخص جعل شخص آخر أو جعل جسمه هو نفسه موضوعا لفعل يشبع هدفا جنسيا فالهدف هنا يكون نشطا، أما إذا كان الشخص أو جسمه موضوعا لفعل يقوم به شخص آخر فيقال أن الهدف هنا سلبي .

وتعرض الغريزة للاعلاء والكبت . فالاعلاء عملية يتم فيها التخلي عن هدف الاشباع المباشر للغريزة الجنسية . وهذا لا يمنع من احلال هدف جديد وتغيير الموضوع . فتتحول الطاقة من هدفها الجنسي وتتجه نحو هدف آخر غالبا ما يكون اجتماعيا ، وسوف نتكلم عن الكبت في عرضنا للعمليات اللاشعورية .

وكان في بداية حياته يقسم الغرائز إلى غرائز الانا ، والغرائز الجنسية. وكانت الانا عنده في ذلك الوقت تمثل جانب الشخصية الذي يهتم أساسا بالابقاء على الذات. فكل الاندفاعات التي تهدف إلى الابقاء على الذات كانت تعبيرات لغرائز الانا . ويقصد بالانا ذلك الجانب من الشخصية الذي يكافح كل سلوك يهدد بقاءها . أما الغرائز الجنسية فهي تهدف إلى الابقاء على النوع . غير أنه نتيجة لخبراته في الحرب العالمية الأولى انتهى إلى أن هناك غريزة تسمى بغريزة الموت وفسرها بأن كل الكائنات الحية لديها النزعة إلى العودة إلى حالتها الأولى غير العضوية . وقد تتجه هذه الغريزة إلى العالم الخارجي وإلى الكائنات الحية الأخرى أو إلى النفس كما في الانتحار .

ويبدو أن هذه الغريزة أدت به إلى مشكلة كيف يزاوج بينها وبين الغريزة الجنسية واستمرار النوع والابقاء على الحياة . فأنهى هذه المشكلة بالانتهاء إلى أن هناك نوعين من الغرائز يختلفان عن بعضهما تماما هما الغرائز الجنسية بالمعنى الواسع (الحب) وهدفها البناء والغرائز الاعتدائية وهدفها التخريب . وارتباط هاتين

القوتين وتعارضها يخلق ظاهرة الحياة ، وتوجد هذه الغرائز فى طبيعة تكوين كل عنصر من عناصر الكائنات الحية .

٢ ـ الليبيدو Libido

حالة تشبه حالة الجوع ولكنها تتعلق بالناحية الجنسية وهى قوة أو طاقة تنوع كما تقيس عمليات الحياة الجنسية وتعديلاتها . وقد استخدم فرويد هذا المصطلح فى وقت ما بمعنى الناحية الجنسية أو الطاقة الغريزية للحياة الجنسية . والناحية الجنسية لا تعنى الجنسية عند الكبار وحدهم بمعنى الرغبة فى العلاقة الجنسية السوية واللذة المتحصلة منها ولكنها تتضمن أيضا أكثر من ذلك . والخلاصة أن الليبيدو قوة تدفع إلى الحصول على اللذة لها خاصية نوعية معينة . والطاقة الليبيدية تحت ظروف معينة تتحول من موضوعاتها وتتجه إلى الانا وتسمى هذه الحالة بالنرجسية (عشق الذات) الثانوية . ومن هنا جاء التمييز بين « ليبيدية الانا » و« وليبيدية الموضوع » وكلما سحبت هذه الطاقة من إحداهما كلما قلت فى الثانى . وتتركز الليبيدو فى الطفل فى نفسه . وتسمى هذه بالنرجسية الأولية . ومنها ينمو حب الموضوع . والأنانية والنرجسية تكونان شيئا واحدا . وبالتدريج تأخذ «ليبيدية الانا» فى التحول إلى «ليبيدية الموضوع» وبالتالى يصبح التمييز بين غرائز الانا والغرائز الليبيدية غامضا ، إذ الواقع أن غرائز الحفظ على الذات هى فى ذاتها ليبيدية أو لها الخاصية الليبيدية .

٣ ـ الشعور وما قبل الشعور واللاشعور :

لجأ فرويد لشرح مذهبه إلى هذا التصوير: صور اللاشعور بحجرة «الكرار» فى المنزل وتحتوى على الاستثارات العقلية المختلفة . هذه الاستثارات المزدحمة تتزاحم لكى يسمح لها بالدخول فى حجرة ثانية أصغر مثل «حجرة الاستقبال» التى يحتلها الشعور أو الوعى . وبين الحجرتين يقف بواب هو « الرقيب » الذى

يفحص الاستثارات المختلفة التى تحاول الدخول . ويقوم الرقيب بازاحة العناصر التى لا يتقبلها ، فاذا لم يدركها تحاول أن تدفع بنفسها ثانية . ولا يرى الشعور مايدور فى حجرة الكرار: فالعمليات التى تبقى فى اللاشعور فى أصلها لاشعورية . والعمليات التى يعيدها الرقيب إلى اللاشعور تكبت . ومع ذلك فتلك التى يسمح لها الرقيب تخطى العتبة ليس من الضرورى أن تصبح شعورية إذ لا تصبح كذلك إلا إذا جذبت عين الشعور . ويسمى فرويد الحجرة الثانية بما قبل الشعور أما البواب هنا فى هذا التصوير فهو ما يعرف فى التحليل النفسى بالمقاومة .

ويرى مولاهى Mullahy أن المتبع لنظرية فرويد فى اللاشعور والكبت يرى أن النفس تحتاج إلى شقة سكنية أكبر فيها على الأقل بواب آخر ، فالعملية العقلية قد تتعرض للفحص عند رقيبين أو بوابين أحدهما يقف بين اللاشعور وما قبل الشعور والثانى بين ما قبل الشعور والشعور . والواقع أن التمييز بين الشعور واللاشعور كان من أكبر الاسهامات التى أمد بها فرويد علم النفس . إذ يبين ذلك أن العمليات العقلية التى توجد خارج إدراك الشعور يمكنها أن تؤدى إلى كل الآثار التى تؤدى اليها الأفكار العادية الشعورية دون أن تصبح شعورية .

وتتميز الحيـــاة العقلية اللاشعورية بأنها ديناميكية . وتسعى الاندفاعات اللاشعورية دائما إلى التعبير عن نفسها ، ولا تبقى خامدة أو سلبية أو جامدة . وتظهر الحياة العقلية اللاشعورية نزعات نحو أهداف .

٤ ـ الانا والانا الاعلى والهى :

فى بداية الأمر حين كون فرويد نظريته عن الشخصيه ميز بين المظاهر الثلاث السابقة للعمليات العقلية ، وصور هذه المظاهر بمناطق طبوغرافية غير أنه وجد أن المناطق الثلاث لها سمات مشتركة وأن تمييزها من الصعوبة بمكان. إذ وجد أن

الأنا لانطابق الشعور ، كما وجد أن بعض عناصر ما قبل الشعورية لاشعورية ، كما تم اكتشاف خصائص جديدة للانا يجب وضعها فى الاعتبار . لذلك أصبح هذا التقسيم غير دقيق وعرضة للنقد ـ فاحتفظ بالتقسيم الثلاثى إلى الشعور وما قبل الشعور واللاشعور غير أنها أصبحت لاتعبر عن « مناطق » أو بحالات عقلية . وأعطى هذا التقسيم الطبوغرافى للأنا والأنا الأعلى والهى مع عدم مناظرة كل من المظاهر الثلاثة لواحد من المظاهر الثلاثة التى هى الشعور وماقبل الشعور واللاشعور.

الانا : Ego

تتطور الانا تدريجيا سواء من حياة الفرد أو النوع ، ففى البداية يكون الطفل عاجزاً عن التمييز بين نفسه والعالم الخارجى . وتتضمن الانا فى البداية كل شىء ثم تأخذ تدريجيا فى فصل نفسها عن العالم الخارجى . إذ يأخذ الطفل فى التمييز بين الخبرات المختلفة التى يحسها . فعن طريق تفاعل الطفل مع العالم الخارجى وخاصة الوالدين وعن طريق مبدأى اللذة والألم ينتهى الى الاعتراف بعـــالم خارجى منفصل عن الانا . وبالتدريج يتعلم الطفل طرق التميز والادراك وتناول الأشياء لحماية نفسه من الاحساسات المؤلمة وما يهدده . ومن هنا يبـدأ « مبدأ الواقـع » الذى يتحكم فى عمليات النمو بعد ذلك بالإضافة الى فرض نفسه على الانا مع مبدأ اللذة والألم . والانا تنظم متماسك للعمليات العقليـة ، وتتحكم فى الشعور . بل وتقوم حتى فى حالة النوم بالرقابه على الأحلام . وهى مسئولة عن الكبت وعزل بعض العمليات العقلية من الشعور وعن أشكال أخرى من التغيرات والنشـاط . غير أن جزءاً من الأنا لاشعوريا لذلك نجد من الأمور العادية أن الفرد لايدرك كل العمليات التى تقوم الأنا عنده بضبطها وتوجيهها .

وتمثل الانا العقل والصحة العقليه وتتحكم فى الحركة .

الهى : Id

إن منطقة العقل أو مظهر الشخصية المعروف بالهى (والذى كان فى الأصل اللاشعور فى التحديد الطبوغرافى الأول للشخصية) تعبر عن مظهر الشخصية الذى يعتبر غريبا على الانا . والهى إلى حد كبير أشد أجزاء الشخصية غموضا ، ومن الصعب الوصول اليها لأنها لاشعورية تماما وتخرج عن مجال الوعى الشعورى تماما ؛ أنها « مخزن » البيدو الكبير ومخزن الغرائز التخريبية وتتصل بطريقة ما بالعمليات الجسمية ، لذلك تستحوذ على الحاجات الغريزيه الذى يعطى لها التعبير الجسمانى . والهى بحكم طبيعتها طبقا لفرويد عمياء ، اندفاعية ، وغير متعلقة . ولا تعرف المعايير الخلقية ، وليس لها تنظيم أو ارادة متحدة . إذ توجد الاندفاعات المتعارضة جنبا إلى جنب دون أن يتم تعادل بينها أو انعزال ولكنه يقال أنها تتحدد وتتفق تحت ضغط الالحاح لتفريغ طاقاتها . وهى محصنة ضد عامل الزمن أى لاتعترف بمرور الزمن .

الانا الاعلى Super - Ego :

تخضع الانا للدراسة والملاحظة . أى أنه يمكن أن تتخذ نفسها كموضوع ويمكنها معالجه نفسها كأى موضوع آخر فتلاحظ نفسها وتنقدها ... الخ . وهنا جزء منها يقف منفرداً ويلاحظ الباقى . وهكذا يمكن للانا أن تنقسم ولو مؤقتا حين تتخذ موقف ملاحظة نفسها أو نقدها .

وهزل وظيفة الملاحظة طبقا لفرويد وظيفة طبيعية لتكوين الانا . ويتمكن المرء من دراسة خصائص هذه الوظيفة المنفصلة والعلاقات فيها . لذلك رأى فرويد أن يعطى هذه الوظيفة اسم الانا الأعلى ، فبينما يصورها كنطقة عقلية فهى عنده أيضا وظيفة للأنا .

وللانا الأعلى استقلاله وأهدافه التى يتابعها بنشاط تحت سيطرته متحرراً من الأنا ويسيطر عليها ويعاملها بشدة وقسوة. والواقع أن الانا تقع تحت سيطرته ورحمته ويتحكم فيها بأقصى معايير الأخلاق . ويمثل الأخلاق والمجتمع . والشعور بالذنب له أصله فى التوتر بين الانا والانا الأعلى . والضمير يعتبر من تعبيرات الانا الاعلى غير أن الانا الاعلى له خصائص أخرى . والاطفال الصغار فى البداية لا يميزون بين ما هو خطأ وما هو صواب فى سعيهم لتحقيق اللذة . غير أن الابوين ومن يقومون مقامها يضعون على تصرفاتهم القيود . ويمثل الاباء القوة الخارجية التى تلعب الدور الذى يقوم به الانا الاعلى فيما بعد . فالاباء بما يضفونه من حب على الطفل وهو ما يحتاجه الطفل فعلا ، أو بما يقومون به من تهديدات وعقوبات بما فى ذلك فقدان الحب ، يكون لهم اليد الطولى فى التكوين النفسى للطفل . فيتكون لدى الطفل قلق يتعلق بسلوك الآباء يسميه فرويد بالقلق الموضوعى . وهذا القلق الموضوعى يعتبر مقدمة لظاهرة تحدث فيما بعد تسمى بالقلق الخلقى . غير أن الانا الاعلى لا يتكون عن طريق القلق الموضوعى ، ولكن يتكون عن طريق امتصاص التحريمات ، والقواعد الخلقيه للوالدين أو من يقوم مقامها وتحكيمها فى نفسه — وحينئذ يقال أن الانا الاعلى قد تكون .

ويمكن أن نضيف بأن عمليه الانا الاعلى بأنها عمليه نجاح يتقمص الطفل للوظيفة الوالدية .

القوى التى تتحكم فى الانا :

من هذا يبدو لنا أن الانا عليها أن تخدم ثلاث قوى هى العالم الخارجى والانا الاعلى والهى . إذ أن الفرد لكى يعيش عليه أن يحصل على كمية من المعلومات عن العالم الخارجى ، وعليه أيضـــا أن يراعى مطالبه وحاجاته . وتقوم الانا بذلك غير أنها تخدم الهى وتحاول جاهدة لإرضائها . بمعنى آخر يحاول المرء

جاهدا أن يشبع اندفاعاته أو يكون فى حالة توافق معها : وأخيرا تخضع الانا لرقابة الانا الأعلى الدقيقة الذى لايتنازل عن مطالبه باسم المجتمع والتقاليد والأخلاق ... الخ . والعمل فى طاعة الانا الأعلى عقابه الشعور بالتوتر ، والضعة ، وبالذنب .

العمليات العقلية اللاشعورية :

لما كانت الانا تخضع لقوى ثلاث هى عالم الواقع والانا الاعلى والهى ولابد لها أن تكون فى حالة اتزان واستقرار ، هناك من الحيل التى تساعد الانا على الاحتفاظ بهذا التوازن . وتسمى هذه الحيل بالعمليات العقلية اللاشعورية وأهمها :

١ ـ التقمص[1] : Identification

وهو عملية يتقمص فيها الفرد الصفات المحببه إلى النفس ـ التى يرجو أن تكون ملكة له ـ من شخصية يحبها ويحاول أن يتخذها مثلا يحتذيه ـ ويتم ذلك بطريقة لاشعورية . مما يؤدى إلى أن يأخذ الشخص عن هذا النموذج صفاته جميعاً السيء منها والحسن . فالطفل يسيطر عليه فى مطلع حياته الهى التى لاتعرف الخلق أو المعايير ، ولايتحمل الطفل أى مسئوليه وتقوم الأم بالعنايه بالطفل ورعايته

---

(١) يسمى البعض هذه العمليه بالتوحد وبالبحث فى القواميس العربية وجدانه لاعلاقه بالتوحد والعملية التى تتكلم عنها . إذ جاء فى المنجد توحد تعنى بقى وحده ، والتوحد هو الانفراد . كما جاء فى مختار الصحاح توحد برأيه أى انفرد به أما التقمص فصدق . اذ يقول المنجد تقمص أى لبس القميص . ويقال على الاستعارة تقمص الرئاسة والادارة وتقمص لباس العز أى لبس ذلك كما يلبس القميص . وتقمصت الروح انتقلت من جسد إلى جسد آخر على زعم بعضهم وهو على جدل الأجساد أقصة للارواح تنتقل من واحد الى آخر منها .

إذ تحاول الابقاء عليه نظيفاً دافئا وتطعمه وتحميه الخ فاذا ما كان هناك أى مؤثر مضايق كالضوء الساطع أو الحر أو البرد أو الغازات المعويه التى تضايقه تسارع الام إلى ازالة التوتر .

وحين تبدأ الاعضاء الحسيه كالعين والاذنين والانف والفم والجلد القيام بوظيفتها تلقائيا بالاتجاه نحو البيئه ، يبدأ الطفل بالاحساس بهذه البيئة ويبدأ نشاط الطفل فى الانسحاب من الهى الى العالم الخارجى . غير أن بيئة الطفل فى المراحل الاولى تكون محدودة ، إذ تقتصر على الام التى تملأ عالمه . وتعامل الام طفلها معاملة خاصه ، إذ تدرب الطفل لعدة أشهر على التعرف على أعضائه كالذراعين والساقين الخ واستخدامها . فيمتلىء عقل الطفل النامى بخبرات ومشاعر تتصل أساساً بجسمه . وتكون الام نموذجا للطفل ليقلدها . وهذا التقليد هو باكورة العملية التى نسميها بالتقمص .

يستمر التدريب الجسمانى فترة ، وقبل الانتهاء من هذه العملية يبدأ التدريب العقلى ويتم هذا التدريب أيضا بتقليد الأم وبالشخصية التى تبدأ تظهر فى مجال حياة الطفل وهى شخصية الأب وغيره من أفراد العائلة . وبالتدريج يصبح الطفل صورة لوالديه إذ تغرس فيه معايير السلوك وطرق التفكير والشعور عن طريق عملية التقمص واختصاص هذه المعايير هو نواة تكوين الانا الاعلى كما سبق أن ذكرنا . لهذا يمكننا القول أن الانا الاعلى للطفل فى بدايته يمثل الوالدين . وعندما يتعلم الطفل رغبات الوالدين تنتقل هذه الرغبات إلى عقل الطفل فى الجزء الشعورى منه ، وأخيراً بالتكرار تنزلق هذه المعايير الى اللاشعور وتستمر فى عملها دون أن تفقد قوة تأثيرها . وحينئذ يكون التقمص لاشعوريا .

وهناك من الأطفـــال من لا يتحررون من مرحلة الحضانة بمعنى انهم لا يتحررون من تقمصهم لوالديهم وتقليدهم . فيستمرون فى الحياة كالاطفال من الناحية الانفعالية بصرف النظر عن بلوغهم واكتمالهم وتحصيلهم العقلى أو الجسمانى .

غير أن هناك من يمكنهم التغلب على بديل الأب وبديل الأم فى البيئة إذ قد يكون المعلم بديلا لصورة الأب ، فالمراهق الذى تعجبه شخصية مدرس له قد ينتهى به الأمر إلى أن يأخذ عن المدرس لاشعوريا ـ طريقته فى الكلام وطريقته فى المشى ونبرات صوته وما إلى ذلك .

وإذا ربطنا هذه العملية بتكوين الدور الذى سبق لنا أن تكلمنا عنه وجدنا أن التقمص عملية هامة فى تكوين الدور الذى تحدده الثقافة للولد والبنت . أما المثل الذى يحتذيه الطفل فى اتخاذ الدور المناسب له يجد نموذجا له فى شخصية من يماثله فى جنسه من والديه فتجد البنت نموذجها فى أمها ، كما يجد الولد هذا النموذج فى أبيه. فينمو الولد متخذا نبرات الصوت والمشية وطرق التعبير عن الاتجاهات والانفعالات والميول وغيرها عن أبيه .

وكذلك الحال فى البنت مع أمها . وقد يحدث أن يتقمص الولد دور الأم أو تتقمص الفتاة دور الأب . فينمو الولد وفيه عنصر نسوى فى صوته وحركاته وعاداته وميوله واتجاهاته وتنمو الفتاة وفى صوتها خشونة صوت الرجال . وفى طباعها نفس الخشونة التى تتطلبها الثقافة فى الرجل.

ولما كان لتقمص الدور المناسب أهمية كبرى فى النمو السوى للطفل كان من الضرورى ضمان سلامة تكيف الأب والأم حتى لا يأخذ الطفل عنها نواحى القصور فيها . وتهمنا هذه العملية فى علم النفس الجنائى . فقد ينمو الطفل فى صحبة

والد مجرم . فينمو الانا الأعلى لديه على نموذج الأب فلن يكون من الصعب عليه حينئذ أن يكون مجرما كأبيه .

وعلى الرغم من أن تكوين الانا الأعلى يتوقف على تدريب الوالدين إلا أنه يتأثر أيضا بالعلاقات خارج نطاق الأسرة . فقد ينفصل الطفل عن والديه ويجد نماذج أخرى له فى البيئة الخارجية . فاذا وجد هذه النماذج فى شخصيات تحترف الاجرام ، سوف يتقمص الجماعة الجديدة ويسلك سلوكها .

ويعتبر التقمص عملية طبيعية سوية فى كل مراحل الحياة غير أن استمرار التقمص الطفلى إلى المراهقة والبلوغ يعتبر من علامات القصور.

٢ - الكبت Repression :

والكبت نوعان : احدهما الكبت الشعورى (القمع) suppression والآخر الكبت اللاشعورى repression والكبت محاولة يبذلها الفرد لابعاد رغبة لاتتفق وفكرته عن نفسه أو التقاليد الإجتماعية محاولا نسيانها ، وقد تنسى . فاذا نسيت خرجت عن مجال الشعور ، وأصبحت مكبوتة فى اللا شعور وظلت قوية فى تأثيرها فى سلوك الفرد . فقد يرى الفرد الذى تساوره رغبة جنسية نحو قريبة له - فى هذه الرغبة ما لا يتفق مع فكرته عن نفسه ، ومع ما يتوقعه المجتمع منه من حماية ورعاية لذوى القربى . فيحاول ابعاد هذا الخاطر عن ذهنه وقمعه . وقد ينجح فى ذلك وينسى هذه الرغبة إلا أنها تنزلق إلى اللا شعور وتبقى هناك . والشعور المصاحب للقمع هو الشعور بالعار shame بينما الشعور المصاحب للكبت اللا شعورى هو الشعور بالذنب guilt والفرق بينهما أن الشعور بالعار يتوقف على خوف الفرد من نقد المجتمع ، بينما الشعور بالذنب شعور شخصى يشعر به الفرد بينه وبين نفسه .

ويميز فرويد بين نوعين من الكبت: الكبت الأولى Primary repression والثانى الكبت الثانوى Secondary repression ويقصد بالأولى انكار الحقائق المكبوته إذا ماظهرت . وهذه الظاهرة ملحوظة فى العيادات السيكلوجية، إذ يسارع المريض إلى انكار ما قد يكون سببا من أسباب عدم تكيفه . أما الآخر فيقصد به النزعـــة إلى تجنب المواقف التى قد تعيد إلى الذكرى خبرات مكبوته غير سارة .

وانعدام الكبت له أهميته من الناحية الجنائيـــة . فالاستعراض الجنسي ، والاغتصاب ، والقتل والانتحار قد تكون من نتائج ذلك .

وقد ينعدم الكبت أحيانا بالمرض والمخدرات والخمر عند بعض الافراد إذ تؤدى هذه الأشياء إلى توقف عمل الانا الأعلى فيصبح الفرد تحت سيطرة دوافعه البدائية .

٣ — التبرير Rationalization

ويقصد بالتبرير تفسير الفرد لسلوكه بأسباب منطقية ويرمى من وراء ذلك إلى إظهار سلوكه فى صورة معقولة مقبولة . وهو بذلك يخفى الدوافع الحقيقية لهذا السلوك الذى قد يكون فيه تحقير له أو إمتهان لذاته ممـــا قد يشعره بالعار والخجل. والتبرير محاولة يخدع الفرد فيها نفسه، تدفعه إلى ذلك دوافع لاشعورية وهو فى ذلك يختلف عن الكذب إذ أن الكذب عملية شعورية.

ومن الأسباب التى يبرر بها سلوكه عادة ما يأتى :

أ ـــ القاء اللوم على الظروف أو الأفراد. كالطالب الذى يرسب فى الامتحان فيعزو سبب رسوبه الى إضطهاد أساتذته له ، أو أن حظه السيء هو المسئول عن

ذلك. وكثيراً ما نعزو ما يصيبنا من ضرر أو قصنا أنفسنا فيه إلى إرادة الله وحكمته فنقول «ربنا عايز كده» ، وهذه إرادة الله» .

ب — إظهار النية الحسنة : كمن يسيء إلى فرد عن غير عمد بالوشاية بينه وبين صديق له ثم يعتذر بأنه لم يقصد الوشاية ، وأنه حسن النية فيما نقل من كلام .

ج — مقارنة الذات بالغير: تسود هذه الظاهرة فى مجتمعنا ويبدو ذلك جليا فى سهولة استعمالنا لكلمة « اشمعنى فلان » فما دام فلان قد فعل هذا فلما لا أفعله أنا وكأن خطأ الغير مبرر كاف لارتكاب نفس الخطأ .

د — التبرير لمجرد الحب أو الكراهية : فقد يتشاجر فرد مع فرد آخر دون سبب ظاهر ، فاذا سألنا احدهما عما دعاه إلى ذلك لم تخرج اجابته عن أنه لايحبه .

٤ — النكوص Regression

ويعرف النكوص بأنه ذلك التقهقر الذى يصيب الفرد — فى حالة الاحباط والفشل إلى مرحلة من مراحل النمو الأولى التى كان يشعر فيها بالطمأنينة والأمن على الرغم من أنه يكون قد تعدى هذه المرحلة retrogession فالطفل الذى يكون قد فطم وتعلم المشى، يعود إلى الحبو ثانية ويطلب الرضاعة إذا ما جاء مولود آخر فى الأسرة توليه الأم عنايتها ، لأنها كانت توليه فى طور الحبو والرضاعة من عطفها وحنانها ما تخص به الآن الطفل الجديد .

يعرف النكوص أيضا لا على أنه العودة إلى مرحلة من المراحل الأولى التى شعر فيها الفرد بالأمن، ولكن على أنه العودة الى حالة من حالات السلوك البدائى Primitivism كاضطرار الرجل المهذب المتعلم الى استعمال قبضته وقوته البدنية فى عراك جسمانى اذا ما أصيب بالاحباط

ومن التجارب التى تدل على النوع الأول من النكوص تجربة دربت فيها مجموعة من الفيران على أن تخفف من آثار الهزة الكهربية التى تأتى لها من تحت أقدامها فى أرض الصندوق بالوقوف على أرجلها الخلفية ، ثم دربت بعد ذلك على أن تتخلص من الهزة تماما بضغطها على زر فى الحائط . وبعد أن تعلمت الفيران الضغط على الزر ، أوقف عمل هذا الزر فعادت الفيران الى الطريقة التى تعلمتها قديما بوقوفها على أرجلها الخلفية .

٥ — رد الفعل Reactin Formation

فى هذه العملية محاولة لإخفاء الدوافع التى لا يرضى عنها الفرد نفسه أو المجتمع بكبتها والتعبير عن دوافع مضادة لها بشكل مبالغ فيه . وهذه العملية ان لم يعبر عنها بحدة واذا لم تستمر لمدة طويلة تعتبر وسيلة طبيعية لكبت الاندفاعات الطفليه لأنها ابدال يقبل لعكس ما هو مكبوت . وتبدأ هذه العملية بشكل سوى فى مرحلة الطفولة وتصل الى قمة قوتها فى الفترة ما بين سن ٥ سنوات وبداية المراهقة . ويتم الاحتفاظ بها فى السنوات التالية من العمر ولكن ليس بالدرجة التى كانت عليها فى السنوات السابقة اللهم الا فى حالات المرض العقلى . ومن أعراض هذه العملية أن يقيم الفرد نفسه داعيا للفضيلة محاربا للرذيلة متعنتا مع من يرتكبها . وهو فى الحقيقة انما يخفى الرذائل الموجودة فيه بمحاربتها فى غيره . وكثير من الرجعيين فى مجتمعنا الذين يستغلون الدين فى تهجمهم على سلوك الغير واتهامهم بالانحلال والفساد ـ أولئك هم الكفرة الفجرة ـ المجرمون فى خيالهم الذين يخشون هذا فى أنفسهم فيرونه فى غيرهم ، فيعلنونها عليهم حربا شعواء وكم من مصائب ارتكبت على أيدى هؤلاء ممن يشغلون مناصب عامة تحكمهم فى الغير . كمناصب القضاء ، وادارة الأعمال ، وحماية الفضيلة .

ومن الأمثلة التى توضح هـذه العملية ، الأم التعيسة فى حياتها الزوجية التى تنجب أطفالا وهى كارهة لهم لأنهم يربطونها الى هذه الحياة ، فتتمنى لا شعوريا التخلص منهم ، الا أن المجتمع لا يتقبل هذا الاحساس فتكبته وتضفى عليهم عطفا زائداً ورعاية وحماية تخدع بها والناس .

ويخشى من الأفراد الذين تتأصل فيهم هـذه العملية القيام بأعمال عدوانية وتخريبية.وتستشهد على ذلك بما يسمون أنفسهم بالأخوان المسلمين .

٦ ـ الاحلال Substitution

ويتضمن عمليتين الاعـــلاء Sublimation والتعويض Compensation والاعلاء عملية يحول الفرد فيها طريقة التعبير عن دافع ينتقده المجتمع إلى سلوك مرغوب فيه ، إذ أن الحل السليم السوى للتخلص من الخبرات والاندفاعات التى لم تعد مناسبة وغير مرغوب فيها هو كبتها فى اللاشعور وتحويل الطاقة ووضعها فى خدمة الأفكار والأفعال الشعورية المقبولة اجتماعيا وشخصيا، وتسمى هذه العملية بالاعلاء .فيمكن على سبيل المثال أن تتحول الميول الاستعراضية الجنسية الطفلية ، إلى التفوق فى التمثيل المسرحى . فالدافع الأصلى هنا لم يتغير غير أن الموضوع الذى يلتصق به هذا الدافع هو الذى تغير . وقـــد يتحول دافع التلصص الجنسى Voyeurism إلى البحث عن المجهول والتفوق فى البحث العلمى،وقد تتحول السادية الطفليه إلى التفوق فى الرياضة .

أما التعويض فهو المجهود الذى يقوم به الفرد ليعوض نقصا فيه بالنجاح فى ناحية أخرى تقوم مقامه .

٧ — الاسقاط : Projection

والاسقاط عملية لا شعوريه يحمى الفرد فيها نفسه بالصاق عيوبه بالغير وبصورة مكبرة . ومن أمثلتها الهامة التى تعبر أحسن تعبير عن هذه العملية « كلم الفاجرة تدهيك وتجيب اللى فيها فيك » .

ومما يلاحظ أن الاسقاط عملية هامة فى نمو الذات وتطورها . فلكى يفهم الفرد أدوار الآخرين فلا بد أن يلبس أدوارهم فى داخليته ثم يفسر سلوكهم بوضع نفسه فى مواقفهم ، فيكون تفسيره لها مستمدا من خبرته . فاذا كانت أقوال الآخرين وإنفعالاتهم وإتجاهاتهم النفسيه تشبه أقواله وانفعالاته واتجاهاته لكان هذا داعيا إلى التفاهم . وهذا ما يحدث عادة بين أصحاب الخبرات المشتركة .

وقد درست عملية الاسقاط فى علم النفس قديما فى نطاق ضيق محدود وكانت دراستها إما من ناحية الخطأ الذى يصحبها وإما من ناحية وظيفتها فى تأكيد الذات .

إلا أن هذه العملية لها أيضا وظيفتها الهامة من ناحية تفسير سلوك الغير.

فوائد العمليات العقلية اللا شعورية وأضرارها :

مما يؤخذ على غير المتخصصين ممن لهم بعض الدراية بعلم النفس وعلى كثير من المتخصصين فى هذا العلم أنهم ينظرون إلى هذه العمليات على أنها عمليات مرضية. وتكون فكرتهم عادة سلبية عمن تبدو فى سلوكه هذه العمليات ، إلا أننا يجب أن نلاحظ أن هذه العمليات من الوسائل التى تساعد الفرد على التكيف ، إذ تؤدى وظيفة صمام الأمن للفرد حين يعجز عليه إيجاد حل عملى لمشكلته . وإليك بعض فوائدها .

١ تسمح العمليات العقلية اللاشعورية للفرد بالتكيف مؤقتا ، وبذا تعطيه وقتا أطول حتى يتمكن من تمييز كثير من جوانب المشكلة .

٢ — تسمح هذه العمليات للفرد بأن يجرب نفسه فى أدوار جديدة وتعلم وسائل جديدة للتكيف . ففى اسقاطنا لعيوبنا على الغير مجال يسمح لنا بأن نتحسس هذه العيوب فيه وحينئذ قد نكتشف كثيرا من محاسنه ، فنعدل عن حكمنا عليه. وبذا نكتسب خبرة فى عدم التسرع فى اصدار حكمنا على الناس ويؤدى هذا إلى تعديلنا لأنفسنا .

٣ — يلجأ الانسان فى عملية التبرير إلى إيجاد أسباب منطقية يبرر بها سلوكه. وقد يؤدى به هذا إلى أن يتفتح أمامه مجال التفكير السليم المبنى على إدراك العلاقة بين الأسباب والمسببات .

٤ — قد يؤدى سلوك معين مبنى على عمليات لا شعورية إلى نتائج إيجابية بالفرد إلى النجاح فى ميدان يؤكد ذاته ، كالشخص الذى يتخذ الرياضة أو الرسم لإعلاء الدافع الجنسى مثلا فقد يكتشف فى نفسه مهارة فى أحد الميدانين تؤدى به إلى التفوق والظهور .

٥ — وفى مناقشة لاركسن Erikson بين الحكمة والتعصب يرى أن عملية الاسقاط عملية هامه تلعب دورا هاما . فالشخص المتعصب الذى بنى قيمه على أسس واهية وانفعالات مرضية أدت به إلى اصدار أحكام جامدة على الناس أو على المبادىء ، يقوم بعملية يسقط فيها عيوبه على غيره ، وتساعده هذه العملية على الاحتفاظ بكيانه وتوازنه وتوافقه النفسى نسبيا . بينما نجد أن الحكيم الذى تخلى عن التعصب ، وتخلى عن عملية الاسقاط ، اذا كان لديه استعداد للعصاب فانه لا يرى نقصا فى أحد غيره ، ولا يرى عيبا الا فى نفسه ، فيصبح

متعصبا ضد نفسه ، ويؤدى به الأمر الى كراهية ذاته وربما الى الانتحار . فكأن الاسقاط عملية ضرورية لبعض الأفراد والا اختل توافقهم النفسى .

الا أن هذه العمليات لها اضرارها فالفرد الذى يعتمد عليها دائما وربما لوقاية نفسه يعجز عن التعرف على طرق أحسن منها للتكيف . ولما كانت هذه العمليات تقوم على تشويه للواقع ، فقد يؤدى الأمر بالفرد الذى يعتمد عليها الى أنه يظل دائما بعيداً عن الواقع ، وقد ينتهى به الأمر الى الانهيار وانحرافات الشخصية .

obeikandl.com